مقدمة

عندما بدأت العمل في الطبعة الثالثة من كتاب (الطفل المستعجل)، تلقيت اتصالاً هاتفياً من صحفي عزز قراري بتحديث الكتاب. سألني الصحفي عن وجهة نظري في نقاش دار بين والدتي طفلتين في السادسة من عمريهما يعكس نقاشاً أوسع بين آباء الفتيات الصغيرات. كانت إحدى الوالدتين تسمح لابنتها باستخدام مواد التجميل وارتداء ملابس مغرية. بينما كانت الوالدة الأخرى تعتقد أن ذلك غير ضروري ولم تكن تسمح لابنتها باستخدام مواد التجميل وارتداء ثياب لا تليق بعمرها. بررت الأم التي تسمح لابنتها باستخدام أدوات الزينة تصرفها من منطلق أنها كانت تلهو فقط وأنها لن تسمح لها بذلك عندما تكبر قليلاً.

كانت إجابتي متوقعة. فأنا لا أرى أي سبب يسمح لابنة ستة أعوام باستعمال مواد التجميل وارتداء ملابس على ذلك الشكل. إذا كانت الفتاة الصغيرة تحب أن تلعب لعبة الكبار فبإمكانها أن تلطخ وجهها بحمرة أمها وتخطو متعثرة بحذائها ذي الكعب العالي. أما أن تسمح الأم لابنتها باستخدام مواد

تجميل حقيقية وارتداء ثياب مغرية فذلك ضرب من اللعب بالنار. فهو أولاً يباعد بين الطفلة وأترابها. ثم إنها بعد أن يسمح لها بالتزين وارتداء تلك الثياب لن يسهل إقناعها بالكف عن ذلك عندما تصبح أكبر. ثالثاً هناك كثير من ذوي الأخلاق البغيضة الذين تشدهم فتاة ترتدي ما ترتديه. أعتقد أن السماح لفتاة صغيرة بالتزين وارتداء ثياب كما يفعل الكبار أمر يحمل الكثير من السلبيات دون أي إيجابيات.

استمرار الضغوط القديمة

يوحي هذا المثال أن الضغوط السابقة على تسريع عجلة نمو الأطفال ما زالت مستمرة بقوة ونحن على أعتاب القرن الجديد فكثير من المشاكل التي ذكرتها في مقدمة الطبعة الثانية قد تفاقمت. وما زال مفهوم قدرات الطفل، الذي كان الدافع الأكبر وراء استعجال الطفولة في العقود السابقة ما زال سائداً اليوم. والآباء ما زالوا يخضعون لضغوط أكبر من أي وقت مضى لحشر أوقات أطفالهم وإقحامهم في برامج رياضية منظمة ونشاطات أخرى قد تكون غير ملائمة لأعمارهم. والمزعج هو أن المبالغة في إخضاع الأطفال لامتحانات في المدارس العامة أصبح أشد وطأة مما كان منذ عقد مضى. حتى أن بعض الأماكن تخضع أطفال الحضانات لامتحانات قياسية. كما أن ضغوط وسائل الإعلام لتحويل الأطفال إلى مستهلكين قد تعاظمت بشكل كبير جداً. وقد وردت رسالة موجهة إلى

مرشحي الرئاسة آل غور وجورج د. بوش، تحمل تواقيع مجموعة من الأخصائيين، جاء فيها:

> في وقت أصبح الطفل البدين مشكلة صحية رئيسية فإن إعلانات الأغذية الغنية بالدسم والسكاكر والحريرات تشكل الكم الأكبر من الإعلانات التي تبث في فترات الأطفال. وتظهر الدراسات أن البدانة ترتبط بمشاهدة التلفزيون وأن الأطفال السمان يبدون أكثر تقبلاً لهذه الرسائل المتضمنة في الإعلانات الغذائية.

ويبطل تأثير الصحافة المنتشرة وممارسات السوق غير المنضبطة مفاد الحكمة التقليدية - التي تنشطها الصناعة - من أن الآباء قادرون على حماية أطفالهم من الثقافة التجارية. وذاك أمر أقرب إلى المستحيل إلاّ في حال انكفأت الأسر إلى العيش في الغابات. ويستطيع الأبوان الحد من تأثير الدعايات، ولكن حتى إذا كانت الدعاية محدودة في البيت فإن الأطفال يتعرضون لها في منازل الأصدقاء، وفي الشارع وباحة المدرسة والأسواق وحتى في المدرسة.

كما ازداد ترويج العنف بين أوساط الأطفال والشباب بعد صدور الطبعة الثانية من هذا الكتاب. وقد هوجمت هذه النزعة مؤخراً في تقرير عن لجنة التجارة الفيدرالية نشر في أيلول/ سبتمبر 2000. وفصل التقرير كيف:

تتعمد صناعة المقبلات تجاهل نظام تصنيفها وتسوق الموسيقى العنيفة، والأفلام وألعاب الڤيديو بشكل مباشر إلى

الأطفال دون السن القانونية. وكشف التقرير عن خطط مشتركة داخلية لاستخدام الكشافة، البنين والبنات، والنوادي (4 - H clubs) والكتب الهزلية المصورة، وحتى الصحف المدرسية لترويج منتجات يعتبرها الصانع نفسه غير ملائمة للأطفال تحت عمر 17 سنة.

وجد التقرير أن 80 في المئة من الأفلام المصنفة R موجهة للأطفال دون السن القانوني. ولكن الأمر لا يتوقف عند ذلك. فنحو 30 في المئة من التسجيلات الموسيقية ذات مضمون غير متحفظ أعربت أنها تعتبر المراهقين جزءاً من الجمهور المستهدف و70 في المئة من ألعاب الڤيديو «للكبار» موجهة إلى صغار المراهقين. وقد جرى أن أحد الأفلام المصنفة R اختبر تسويقياً بالتركيز على جماعات بين العاشرة والثانية عشر سنة[1].

وفي ضوء الضغوط المستمرة على الأطفال كي يكبروا بسرعة، يبدو مهماً تحديث المقاطع التي تعنى بالاستعجال الذي يسهم فيه الآباء والمدارس ووسائل الإعلام. وبالنسبة للآباء أضيف مقطع في فصل الأبوة حول مجموعة مراقبة ضغط الوالدين. أجريت أحاديث مع آباء في جميع أرجاء البلاد، ووجدت أن كثيراً منهم يقومون فعلاً بمحاولات جدية كي لا يستعجلوا أولادهم، ولكنهم يشعرون أنهم مجبرون على ذلك بسبب ما يفعله الآباء الآخرون الذين يسجلون أطفالهم في رياضات منظمة وسواها من البرامج. هذه المشكلة يعاني منها بشكل خاص آباء الأطفال الصغار. فإذا لم يسجل الآباء أطفالهم

في هذه البرامج فإن الأطفال يبقون بلا رفاق يلعبون معهم. وسأتحدث عن مخاطر هذه البرامج وبعض الخيارات المتاحة للأبوين اللذين لا يريدان استخدامها.

تستمر ضغوط الإسراع في المدرسة بلا كلل. وقد تفاقمت مشكلة الامتحان، التي تحدثت عنها في الطبعة الثانية، وأصبح الامتحان أكثر شيوعاً وتستخدمه بعض الجماعات أساساً للترفيع والتخرج. وقد أدى الضغط باتجاه المسائل النظرية ببعض المدارس إلى تغيير أنظمتها بإلغاء العطلة كي يتاح للأطفال مزيد من الوقت لمتابعة العلوم الأساسية. بالمقابل كان هناك بعض البدع الحميدة. فضغط البرامج يجعل طلاب المدارس الثانوية يتبعون أربع حصص فقط مدة الحصة ساعة ونصف، أمر معقول ويحسن الأداء. يعطي اليافعين مزيداً من الوقت للفروض والوظائف، ويخفض الوقت الذي يمضونه في قاعات الدراسة، حيث تجري معظم أعمال الشغب.

إلاّ أن أي بدعة من هذا النوع لم تقدم في المستوى الابتدائي الأول. حتى أن هناك أزمة في دور الحضانة وفي الصف الأول. هذه الأزمة تبرر إضافة جزء جديد للفصل الثالث. في هذا القسم أستعرض مشكلة الترفيع والإستبقاء في رياض الأطفال والصف الأول التي تثير مشاكل في أنظمة المدارس في طول البلاد وعرضها.

أما بالنسبة لوسائل الإعلام، فقد تفاقمت المواد التي لا

تناسب الأطفال وازدادت سوءاً. حيث يبدو أن إسفافاً جديداً يسمح بعرضه على شاشة التلفزيون كل أسبوع. كما يزداد عرض مناظر العري والتصرف الداعر في ساعات مبكرة من المساء. وفي الوقت الذي تراجع فيه عدد برامج الأطفال فقد تكاثر عدد البرامج التي تتابع المراهقين. لهذا فإنني لن أقدم قسماً جديداً في هذا الفصل، لكنني سألجأ إلى تحديث أمثلة برامج التلفزيون والأفلام والكتب والمجلات والموسيقى التي لا تغذي التطور والنمو الصحي.

في الفصل الرابع يسعدني أن أبرز واحداً من الأضواء اللامعة في أفق الصحافة، ألا وهي كتب هاري بوتر. يؤكد نجاح هذه الكتب آرائي حول الحاجة إلى مادة قصصية ملائمة عمرياً للأطفال. وخلاف كثير من الألعاب الكومبيوترية والتلفزيونية، يتحدى هاري بوتر خيال الأطفال ويخاطب الطرق الفريدة التي يسلكها تفكير الأطفال ومشاعرهم. وتشهد هذه الكتب على حقيقة أنه على الرغم من جميع أنواع التكنولوجيات غير العادية التي تحيط بهم، فإن الأطفال ما زالوا يؤخذون بسحر القصة الجيدة.

ضغوط جديدة

إذا لم تكن هذه الضغوط السابقة التي يتعرض لها الأطفال والناشئون كافية فإن انتشار الكومبيوتر في كل مكان، وما تتوصل إليه أبحاث الدماغ الأخيرة، والاستخدام الخطير

للإنترنت فاقمت الضغوط التي تطالب الأطفال بالإحساس والتفكير والتصرف بشكل أكثر كفاءة ونضجاً مما تسمح به أعمارهم. وعلى الرغم من المزايا الكثيرة للابتكارات التكنولوجية إلا أنها كثيراً ما يساء استخدامها لبيع الآباء برامج وممارسات ليست في مصلحة أطفالهم. وبالتالي فإني أضيف فصلاً جديداً إلى بحث ديناميكية الاستعجال، في الكومبيوتر والأبحاث الدماغية والانترنت. وسأفصل في هذا الفصل كيف تستخدم هذه التكنولوجيا الجديدة في الضغط على الآباء لحثهم على إشراك أطفالهم في أنشطة تعرضهم للخطر دون مبرر.

هذه التكنولوجيا الجديدة، والأعاجيب الأخرى الكثيرة للعالم الحديث، تجعل الحياة في هذا الزمان أمراً رائعاً، فنحن نستطيع اكتشاف العالم كله، حتى القمر، بطرق لم يعرفها أي جيل آخر. إلا أن التكنولوجيا والفرص الجديدة تطرح تحديات جديدة أمام الآباء والأطفال فعلينا مثلاً أن ندرك أن الفطرة السليمة تقول إن الأطفال بحاجة إلى التعرف على هذا العالم الجديد المشوق في الزمان والمكان الخاصين بهم وبما يتلاءم مع مصالحهم ومداركهم النامية. فإذا تعرف الأطفال على عالم التكنولوجيا بهذه الطريقة الملائمة لنموهم، يستطيعون الاستمتاع باستخدامها وجني فوائدها.

ختاماً، لقد قررت أن أضمّن مقدمة الطبعة الثانية، كتبت هذه المقدمة قبل عشر سنوات وتستعرض كيف تبدلت الأشياء وبقيت على حالها فيما يتعلق باستعجال النمو السريع للأطفال.